بيوت المتقين

نشرة شهرية تعنى بالشؤون الدينية لمرتادي المساجد والحسينيات
السنة الثالثة

تصدر عن: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية/ وحدة المساجد والحسينيات
العدد (٢٨) لشهر محرم الحرام سنة ١٤٣٧هـ

- صلـــة الأرحـــام
- الأسرة الخلية الأولى للمجتمع ج٤
- حبيب بن مظاهر الأسدي

مسجد النُخيلة

بيوت المتقين

إقـرأ في هــذا العــدد

❖ وقفة فقهية:

أحكام الطهارة .. الحلقة السابعة ٦-٧

❖ محاسن الكلم:

الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين ..... الحلقة الأولى ١٠-١١

❖ مساجدنـــا

مسجد النُخيلة ١٢-١٣

❖ عقائدنـــا

الإمامة .. الحلقة الرابعة عشر ١٦-١٧

❖ الأسرة والمجتمـع

توجيهات في الحث على آداب المعاملة ٢٢

www.alataba.net/vb
www.imamali.net
tableegh@imamali.net
قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أربعة لا ينظر الله تعالى إليهم يوم القيمة: عاقٌّ والديه، وجار سوء في دار مقام، وديوث، ومدمن خمر).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أربعة من قواصم الظهر: إمام يعصي الله ويُطاع أمرُه، وزوجة يحفظها زوجها وهي تخونه، وفقر لا يجد صاحبه له مداويا، وجار سوء في دار مقام).

إتيان الرطب من الجنة لأمير المؤمنين عليه السلام

روى جمع من الصحابة قالوا: دخل النبي دار فاطمة فقال: يا فاطمة إن أباك اليوم ضيفك.

فقالت: يا أبت إن الحسن والحسين يطالباني بشيء من الزاد، فلم أجد لهما شيئا يقتاتان به، ثم إن النبي دخل وجلس مع علي والحسن والحسين وفاطمة، وفاطمة متحيرة ما تدري كيف تصنع، ثم إن النبي نظر إلى السماء ساعة وإذا بجبرئيل قد نزل، وقال: يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك: قل لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أي شيء يشتهون من فواكه الجنة ؟ فقال النبي: يا علي، ويا فاطمة، ويا حسن، ويا حسين إن رب العزة علم أنكم جياع، فأي شيء تشتهون من فواكه الجنة ؟ فأمسكوا عن الكلام ولم يردوا جواباً حياءً من النبي.

فقال الحسين: عن إذنك، يا أباه، يا أمير المؤمنين وعن إذنك، يا أماه يا سيدة نساء العالمين وعن إذنك، يا أخاه الحسن الزكي أختار لكم شيئاً من فواكه الجنة.

فقالوا جميعاً: قل يا حسين ما شئت، فقد رضينا بما تختاره لنا.

فقال: يا رسول الله قل لجبرئيل: إنا نشتهي رطباً جنياً. فقال النبي: قد علم الله ذلك، ثم قال: يا فاطمة قومي وادخلي البيت وأحضري إلينا ما فيه. فدخلت فرأت فيه طبقاً من البلور، مغطى بمنديل من السندس الأخضر، وفيه رطب جني في غير أوانه.

فقال النبي: يا فاطمة أنى لك هذا؟ قالت: (هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)، كما قالت مريم بنت عمران. فقام النبي وتناوله منها وقدمه بين أيديهم، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم أخذ رطبة واحدة فوضعها في فم الحسين فقال: هنيئاً مريئاً لك يا حسين ثم أخذ رطبة فوضعها في فم الحسن وقال: هنيئاً مريئاً يا حسن ثم أخذ رطبة ثالثة فوضعها في فم فاطمة الزهراء وقال لها: هنيئاً مريئاً لك يا فاطمة الزهراء ثم أخذ رطبة رابعة فوضعها في فم علي وقال: هنيئاً مريئاً لك يا علي.

ثم ناول علياً رطبة أخرى والنبي يقول له: هنيئاً مريئاً لك يا علي ثم وثب النبي قائماً ثم جلس، ثم أكلوا جميعاً من ذلك الرطب، فلما اكتفوا وشبعوا، ارتفعت المائدة إلى السماء بإذن الله تعالى.

فقالت فاطمة: يا أبت لقد رأيت اليوم منك عجباً، فقال: يا فاطمة أما الرطبة الأولى التي وضعتها في فم الحسين وقلت له: هنيئاً يا حسين فأني سمعت ميكائيل وإسرافيل يقولان: هنيئاً لك يا حسين فقلت أيضاً موافقاً لهما بالقول: هنيئاً لك يا حسين ثم أخذت الثانية فوضعتها في فم الحسن، فسمعت جبرئيل وميكائيل يقولان: هنيئاً لك يا حسن فقلت أنا موافقاً لهما في القول، ثم أخذت الثالثة فوضعتها في فمك يا فاطمة فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان، وهن يقلن: هنيئاً لك يا فاطمة فقلت موافقاً لهن بالقول.

ولما أخذت الرابعة فوضعتها في فم علي، سمعت النداء من [قبل] الحق سبحانه وتعالى يقول: هنيئاً مريئاً لك يا علي فقلت موافقاً لقول الله عز وجل، ثم ناولت علياً رطبة أخرى ثم أخرى، وأنا أسمع صوت الحق سبحانه وتعالى يقول: هنيئاً مريئاً لك يا علي ثم قمت إجلالاً لرب العزة جل جلاله، فسمعته يقول: يا محمد وعزتي وجلالي، لو ناولت علياً من هذه الساعة إلى يوم القيامة رطبة رطبة لقلت له: هنيئاً مريئاً بغير انقطاع. مدينة المعاجز: ج٣/ص٣٠٤

جبرائيل ودحية

عن أبي الحسن عامر بن عبد الله، عن أبيه، عن الصادق، عن آبائه، عن الحسين عليه السلام، قال: دخلت مع الحسن على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنده جبرئيل في صورة دحية الكلبي، وكان دحية إذا قدم من الشام على رسول الله صلى الله عليه وآله حمل لي ولأخي خرنوباً ونبقاً وتيناً، فشبهناه بدحية بن خليفة الكلبي، وإن دحية كان يجعلنا نفتش كمه، فقال جبرئيل: يا رسول الله ما يريدان؟ قال: إنهما شبهاك بدحية بن خليفة الكلبي، وإن دحية كان يحمل لهما إذا قدم من الشام نبقاً وتيناً وخرنوباً. قال: فمد جبرئيل يده إلى الفردوس الأعلى، فأخذ منه نبقاً وخرنوباً وسفرجلاً ورماناً فملأنا به حجرنا.

قال: فخرجنا مستبشرين، فلقينا أبونا أمير المؤمنين علي، فنظر إلى ثمرة لم ير مثلها في الدنيا، فأخذ من هذا، ومن هذا واحداً واحداً، ودخل على رسول الله وهو يأكل، فقال: يا أبا الحسن كل وادفع إلي أوفر نصيب، فإن جبرئيل عليه السلام أتى به آنفا. الثاقب في المناقب ص٣١٢

فضائل وكرامات

بيوت المتقين العدد 28 لشهر ربيع الثاني 1437هـ

أحكام الطهارة

وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى
السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف)

الحلقة السابعة

ذكرنا في العدد السابق أن هناك جملة من الأحكام ترتبط بالنجاسات ذكرها الفقهاء، وقد ذكرنا سابقاً حكمين منها:

الحكم الأول: الطهارة شرط في موضع السجود.

الحكم الثاني: الطهارة شرط في الصلاة.

ونذكر في هذا العدد باقي أحكام النجاسات وهي كما يلي:

الحكم الثالث: الطهارة في الطواف: الطواف الواجب والمستحب بمنزلة الصلاة فيشترط في صحته طهارة الجسد والثياب، بل يزيد على الصلاة في أنه يشترط في صحته طهارة بدن الطائف ولباسه عن كل نجاسة حتى المعفو عنها في الصلاة على الأحوط وجوباً، وحتى في ما لا تتم به الصلاة، نعم لا بأس بحمل المتنجس حال الطواف.

الحكم الرابع: استعمال النجس: يحرم أكل وشرب النجس والمتنجس، ويجوز الانتفاع بها فيما لا يشترط فيه الطهارة كالانتفاع بالعذرات وغيرها للتسميد والاستصباح بالدهن المتنجس.

الحكم الخامس: بيع النجس: لا يجوز بيع الخمر والخنزير والكلب غير الصيود، وكذا الميتة النجسة على الأحوط لزوماً، ولا بأس ببيع غيرها من الأعيان النجسة والمتنجسة إذا كانت لها منفعة محللة معتد بها عند العقلاء على نحو يبذل بإزائها المال، وإلا فلا يجوز بيعها وإن كان لها منفعة محللة جزئية على الأحوط وجوباً.

الحكم السادس: **حرمة تنجيس المساجد:**

❖ يحرم تنجيس المساجد وفراشها وبنائها من الداخل وسائر آلاتها التي تعد جزءً من البناء كالأبواب والشبابيك، وإذا تنجس شيء منها وجب تطهيره، بل يحرم إدخال النجاسة العينية غير المتعدية إليها إذا لزم من ذلك هتك حرمة المسجد مثل وضع العذرة والميتة، ويجوز إدخال النجاسة غير المتعدية مع عدم الهتك، خصوصا إذا كانت من توابع الداخل، مثل أن يدخل الإنسان وعلى ثوبه أو بدنه دم لجرح أو قرح أو نحو ذلك.

❖ تجب المبادرة إلى إزالة النجاسة من المسجد، بل وآلاته وفراشه، حتى لو دخل المسجد ليصلي فيه فوجد فيه نجاسة وجبت المبادرة إلى إزالتها مقدماً لها على الصلاة مع سعة الوقت، لكن لو صلى وترك الإزالة عصى وصحت الصلاة، أما في الضيق فتجب المبادرة إلى الصلاة مقدماً لها على الإزالة.

❖ لا فرق في الحكم المتقدم بين كون المسجد عاماً أو خاصاً كمسجد السوق والقبيلة، وأما المكان الذي أعدّه للصلاة في داره فلا يلحقه الحكم.

❖ إذا توقف تطهير المسجد على تخريب شيء منه وجب تطهيره إذا كان يسيراً لا يعتد به، وأما إذا كان التخريب مضراً بالوقف ففي جوازه فضلاً عن الوجوب إشكال، حتى فيما إذا وجد باذل لتعميره، نعم إذا كان بقاؤه على النجاسة موجباً للهتك وجب التخريب بمقدار يرتفع به.

❖ إذا توقف تطهير المسجد على بذل مال يسير لا يعد صرفه ضرراً وجب، إلا إذا كان بذله حرجياً في حقه، ولا يضمنه من صار سبباً للتنجيس، كما لا يختص وجوب إزالة النجاسة به، أي: من صار سبباً للتنجيس، نعم من تسبب في تنجيس ما هو وقف على المسجد إذا أدى ذلك إلى نقصان قيمته يضمن ذلك النقصان.

❖ إذا توقف تطهير المسجد على تنجس بعض المواضع الطاهرة منه وجب إذا كان يطهر بعد ذلك.

❖ إذا لم يتمكن الإنسان من تطهير المسجد وكان بقاؤه على النجاسة مستلزماً للهتك وجب عليه إعلام غيره إذا احتمل حصول التطهير بإعلامه.

❖ إذا تنجس حصير المسجد وجب تطهيره فيما إذا لم يستلزم فساده، وأما مع استلزام الفساد ففي جواز تطهيره أو قطع موضع النجس منه إشكال، نعم إذا كان بقاؤه على النجاسة موجباً للهتك وجب رفعه بما هو الأقل ضرراً من الأمرين.

❖ لا يجوز تنجيس المسجد الذي صار خراباً وإن كان لا يصلي فيه أحد مادام يصدق عليه عنوان (المسجد) عرفاً، ويجب تطهيره إذا تنجس.

❖ إذا علم إجمالاً بنجاسة أحد المسجدين أو أحد المكانين من مسجد وجب تطهيرهما جميعا.

❖ إذا تغير عنوان المسجد بأن غصب وجعل طريقاً أو بني دكاناً أو خاناً أو نحو ذلك، لم يحرم تنجيسه ولم يجب تطهيره وإن كان الاحتياط لا ينبغي تركه، وأما معابد الكفار فهي غير محكومة بأحكام المساجد، نعم إذا اتخذت مسجداً كأن باعوها على المسلمين فجعلوها مسجداً جرى عليها جميع أحكام المسجد.

ما يلحق بالمساجد في حرمة التنجيس ووجوب الإزالة:

١- المشاهد المشرّفة والضرائح المقدسة كالمساجد في حرمة التنجيس بل وجوب الإزالة إذا كان تركها هتكاً، بل حتى لو لم يستلزم الهتك على الأحوط استحباباً، ولا فرق في الحكم بين الضرائح وما عليها من الثياب وسائر مواضعها.

٢- يلحق بالمساجد المصحف الشريف فيحرم تنجيسه إذا كان يوجب إهانته، ويجب إزالة النجاسة التي يلزم منها الإهانة عن ورق المصحف الشريف وخطه بل عن جلده وغلافه، والأحوط استحباباً إزالة الزائد أيضاً.

❖ كما أنه مع الإهانة يحرم مس خطه أو ورقه بالعضو المتنجس وإن كان متطهراً من الحدث.

❖ يحرم وضع القرآن على الأعيان النجسة، كما أنه يجب رفعه عنها إذا وضع عليها وإن كانت يابسة.

❖ لا يجوز إعطاء المصحف بيد الكافر، وإن كان في يده يجب أخذه منه.

٣- يحرم تنجيس التربة الحسينية بل وتربة الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة عليهم السلام المأخوذة من قبورهم للتبرك إذا كان يوجب إهانتها، وحينئذ تجب إزالة النجاسة التي توجب الإهانة، ولا فرق في التربة الحسينية بين المأخوذة من القبر الشريف أو من الخارج إذا وضعت عليه بقصد التبرك والاستشفاء، وكذا السبحة والتربة المأخوذة بقصد التبرك لأجل الصلاة.

❖ إذا وقع ورق القرآن أو غيره من المحترمات - ككتب الأدعية - في بيت الخلاء أو بالوعته وجب إخراجه ولو بأجرة، وإن لم يمكن فاللازم سد بابه وترك التخلي فيه إلى أن يضمحل.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أربع تميت القلب: الذنب على الذنب، وملاحاة الأحمق، وكثرة مشاغبة النساء، والجلوس مع الموتى، قيل له: ومن الموتى يا أمير المؤمنين؟ قال: كل عبد مترف).

وقفة فقهية

بيوت المتقين العدد 28 لشهر ربيع الثاني 1437 هـ

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: صِدقُ حديث، وأداء أمانة، وعفة بطن، وحسن خلق).

صلة الأرحام

قال تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) - النساء: ١

يدعو سبحانه الناس إلى الالتزام بالتقوى في مواضع عديدة من القرآن الكريم وذلك لأهميتها، ودورها في بناء قاعدة المجتمع الصالح، وأحد هذه المواضع هو هذه الآية الكريمة إذ يقول تعالى: (اتقوا الله الذي تساءلون به)، أي: اتقوا الله الذي هو عندكم عظيم، وتذكرون اسمه عندما تطلبون حقوقكم وحوائجكم فيما بينكم، غاية الأمر أنه تعالى أضاف إليها هنا جملة أخرى حيث يقول تعالى: " والأرحام " وهو عطف على " الله " ، ولهذا كانت القراءة المعروفة هي نصب "والأرحام" فيكون معناها: واتقوا الأرحام، ولا تقطعوا صلاتكم بهم.

إن ذكر هذا الموضوع هنا يدل على الأهمية الفائقة التي يعطيها القرآن الكريم لمسألة الرحم ووشيجة القربى إلى درجة أنه يذكر اسم الأرحام بعد ذكر اسم الله سبحانه.

أهمية صلة الرحم في الإسلام

لقد أعار الإسلام اهتماماً بالغاً بصلة الرحم وبالتودد إلى الأهل والأقارب، ونهى بشدة عن قطع الارتباط بالرحم، وهذا الموضوع من المسائل التي يهتم بها القرآن الكريم اهتماماً بالغاً تارة تحت عنوان "صلة الرحم" وأخرى بعنوان "الإحسان إلى القربى" يقول سبحانه: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله) محمد: ٢٢.

ويقول تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) النساء: ٣٦.

وقد أراد الإسلام بهذا - في الحقيقة - أن يقوي من أواصر العلاقة بين جميع أفراد البشر مضافاً إلى إيجاد أواصر وعلاقات أقوى وأمتن منها في الوحدات الاجتماعية التي هي أكثر انسجاماً مثل "العشيرة" و"العائلة" ليستطيعوا التعاون في ما بينهم عند ظهور المشاكل والحوادث، والتعاون على الدفاع عن حقوقهم. والسبب في كل هذا التأكيد الإسلامي على الرحم هو أن عملية إصلاح المجتمع وتقوية بنيته وصيانة مسيرة تكامله وعظمته في الحقول المادية والمعنوية، تفرض البدء بتقوية اللبنات الأساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي، وعند استحكام اللبنات وتقويتها يتم إصلاح المجتمع تلقائياً.

الإسلام مارس هذه العملية على النحو الأكمل في بناء المجتمع الإسلامي القوي الشامخ، وأمر بإصلاح الوحدات الاجتماعية، والكائن الإنساني لا يأبى عادة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اجعل همتك لآخرتك وحزنك على نفسك فكم من حزين وفد به حزنه على سرور الأبد وكم من مهموم أدرك أمله).

أن ينصاع إلى مثل هذه الأوامر اللازمة لتقوية ارتباط أفراد الأسرة، لاشتراك هؤلاء الأفراد في الرحم والدم.

وواضح أن المجتمع يزداد قوة وعظمة كلما ازداد التماسك والتعاون والتعاضد في الوحدات الاجتماعية الصغيرة المتمثلة بالأسرة، وإلى هذه الحقيقة قد يشير الحديث الشريف: " صلة الرحم تعمر الديار " .

بعض آثار صلة الرحم في الروايات الشريفة

صلة الرحم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإن ذلك من الدين) الكافي ٢/ ١٥١ ح٥.

صلة الرحم أعجل الخير ثواباً

عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أعجل الخير ثوابا صلة الرحم) الكافي ٢/ ١٥٢ ح١٥.

صلة الرحم تطيل العمر وتزيد الرزق

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: (صلة الأرحام تزكّي الأعمال وتنمّي الأموال وتدفع البلوى وتيسّر الحساب وتنسئ في الأجل) الكافي ٢/ ١٥٠ ح٤.

صلة الرحم تهون الحساب

عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إن صلة الرحم والبر ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم وبروا بإخوانكم ولو بحسن السلام ورد الجواب) الكافي ٢/ ١٥٧ ح٣١.

بعض آثار قطيعة الرحم في الروايات الشريفة

الرحم تدعو على قاطعها في يوم القيامة

قال أبو عبد الله عليه السلام: (أول ناطق من الجوارح يوم القيامة الرحم تقول: يا رب من وصلني في الدنيا فصل اليوم ما بينك وبينه، ومن قطعني في الدنيا فاقطعْ اليوم ما بينك وبينه) الكافي ٢/ ١٥١ ح٨.

قاطع الرحم لا يقبل عمله

قال صلى الله عليه وآله: (إن أعمال بني آدم تعرض كل عشية خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم) كنز العمال ٣: ٣٧٠/ ٦٩٩١.

طرق تحقيق صلة الرحم

من فضل الله وكرمه أنه سبحانه وتعالى لم يحدد لنا طريقا واحدا لكي نصل به الأرحام، بل ترك لنا حرية تحقيق ذلك بحسب ما يستفاد من الأعراف، وتوليد الوسائل التي تساعده في صلة رحمه، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمنة، وفيما يلي نذكر بعض هذه الطرق:

١- الزيارة والتواصل مع الأقارب:

إذا كان المسلم يؤجر على زيارة أخيه المسلم البعيد فإن زيارة أقاربه أكبر أجراً، فإن الزيارة عمود التواصل وتزداد أهمية صلة الرحم عندما تكون الزيارة لعيادة المرضى وفي مناسبات الأفراح والأتراح.

٢- الإنفاق على الرحم:

من وجوه صلة الرحم الإنفاق عليه بما فتح الله عليك، خصوصاً الإنفاق على المعسرين منهم، فينبغي تمييزهم على غيرهم في الصدقات الواجبة والمستحبة، والإنفاق على الرحم من البر الذي أمرنا به: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ البقرة: ١٧٧، وقال تعالى: يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ البقرة:٢١٥، وقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ النحل: ٩٠.

٣- لين الجانب والصبر على الأذى:

اخفض جناحك لأرحامك ولو عاتبوك، وتحمّل ما يصدر منهم من أذى، وردّ عليهم بالعفو والإحسان فستنال رضا الله وعفوه، ولا تتأخر في قبول اعتذارهم إن هم اعتذروا، ولا تبحث عن أخطائهم وزلّاتهم، وكن دائما حسن الظن بهم، وثق أنه سيأتي اليوم الذي يعرفون فيه قدرك وسيكرمونك ويرفعونك.

٤- خدمة الأرحام:

ابذل وسعك في خدمتهم ولا تبخل عليهم بما حباك الله، فخدمة الإنسان لأرحامه ومساعدتهم من أعظم الأعمال عند الله وأفضلها، فاخدم رحمك بما فتح الله عليك، فإن كنت ذا علم فعلم أطفالهم ونبه جاهلهم، وإن كنت ذا جاه فاقض حوائجهم، ولا ترد شفاعة أحدهم.

الجَبْر والتفويض والأمر بين الأمرين

الحلقة الأولى

من كتاب الكافي

الجَبرُ في اللّغة: الإكراه على الشيء، تقول: جبّرته وأجبرته على فعل إذا أكرهته عليه والمراد به: جبر الله عباده على الأفعال والأعمال بمعنى إيجاده إيّاها من غير أن يكون لهم مدخل فيها كما هو مذهب الأشاعرة.

والقَدَر: بالتحريك والتسكين يطلق على معان:

منها: ما سبق به علمه تعالى، ومنها: تقدير الأشياء بما لا يزيد ولا ينقص، ومنها القدرة، ومنها الوقت، وقد فسّر بهذه المعاني في قوله تعالى (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (سورة القمر: آية٤٩)، وقوله تعالى: (إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ) (سورة النمل: آية٥٧) أي أخبرنا بذلك وكتبناها في اللّوح المحفوظ.

ومنها: وضع الأشياء في مواضعها من غير زيادة فيها ونقصان، كما في قوله تعالى: (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) (سورة فصلت: آية١٠).

ومنها: التبيين لمقادير الأشياء وتفاصيلها، وهذه المعاني الثلاثة ذكرها شارح كشف الحقّ وغيره وإن دخل بعضها في السوابق،

ومنها: إقداره تعالى عباده على أعمالهم على وجه الاستقلال بحيث يخرجهم ذلك عن ربقة الانقياد له ويبطل تصرّفه في تلك الأعمال حتّى لا يكون لقضائه وإرادته وقدرته وتدبيره مدخل فيها، والقدر بهذا المعنى وهو المسمّى بالتفويض أيضاً هو المراد هنا وهو مذهب طائفة من المعتزلة ونحن نسمّيهم تارة بالقدريّة وتارة بالمفوّضة، وهاتان الفرقتان وهما الجبريّة والقدريّة خارجتان عن طريق العدل أولاهما في طرف الإفراط وأخراهما في طرف التفريط، والمراد بالأمر بين الأمرين: أمر لا هذا ولا ذاك بل طريق متوسّط بينهما وهو أنّ أفعالهم بقدرتهم واختيارهم مع تعلق قضاء الله وقدره وتدبيره ومشيئته وإرادته وتوفيقه ولطفه وخذلانه بها، وهذا التعلق لا ينافي اختيارهم لأنّ القضاء والقدر والإرادة وغيرها على قسمين: حتم وغير حتم، والمنافي للاختيار هو الحتم دون غيره، وستعلم وجه بطلان الأوّلين وتحقق الثالث في مضامين الأحاديث الآتية، وينبغي أن يعلم أنّ القدريّة قد تطلق على الجبريّة بناء على أنّ القدر جاء بمعنى الجبر أيضاً والقدر بهذا المعنى أيضاً مذكور في هذا الباب، وإنّما بسطنا الكلام طلباً للبصيرة فيما هو المقصود في هذا المقام، ثم إننا نورد بعض الروايات مع شرح بعض منها.

١- عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ زَعْلَانَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ الْقُمِّيِّ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: (قُلْتُ أَجْبَرَ اللهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟ قَالَ: قُلْتُ: فَفَوَّضَ إِلَيْهِمُ الأَمْرَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فَمَا ذَا؟ قَالَ: لُطْفٌ مِنْ رَبِّكَ بَيْنَ ذَلِكَ).

٢- عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ عِدَّةٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: (قَالَ لَهُ رَجُلٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَجْبَرَ اللهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟ فَقَالَ: اللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَفَوَّضَ اللهُ إِلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ فَقَالَ: لَوْ فَوَّضَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَحْصُرْهُمْ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَبَيْنَهُمَا مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ فَقَالَ: نَعَمْ أَوْسَعُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ).

٣- عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللهِ عليهما السلام: (قَالا: إِنَّ اللهَ أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يُجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَى الذُّنُوبِ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا واللهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُرِيدَ أَمْراً فَلا يَكُونَ، قَالَ: فَسُئِلا عليهما السلام هَلْ بَيْنَ الْجَبْرِ والْقَدَرِ مَنْزِلَةٌ ثَالِثَةٌ؟ قَالا: نَعَمْ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ).

٤- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: (لا جَبْرَ ولا تَفْوِيضَ ولَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، قَالَ قُلْتُ: ومَا أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؟ قَالَ: مَثَلُ ذَلِكَ رَجُلٌ رَأَيْتَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَنَهَيْتَهُ فَلَمْ يَنْتَهِ فَتَرَكْتَهُ فَفَعَلَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ، فَلَيْسَ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ فَتَرَكْتَهُ كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالْمَعْصِيَةِ).

الشرح:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (لا جَبْرَ) على العباد حتّى لا يكون لهم قدرة على أفعالهم أصلاً (ولا تَفْويضَ) حتّى تكون أفعالهم بقدرتهم ولا يكون لهم زاجر أصلاً (ولَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، قالَ قُلْتُ: ومَا أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؟ قَالَ: مَثَلُ ذَلِكَ رَجُلٌ رَأَيْتَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَنَهَيْتَهُ) عنها (فَلَمْ يَنْتَهِ فَتَرَكْتَهُ) بحاله وما زجرته عنها جبراً وقهراً (فَفَعَلَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ) بقدرته واختياره (فَلَيْسَ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ فَتَرَكْتَهُ) مع قدرتك على زجره عنها جبراً (كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالْمَعْصِيَةِ) أي: إنك لمّا منعته عنها بالزّواجر والنصائح فلم ينته تركته وما منعته منعاً يوجب تركه ما أجبرته عليها ولا فوضته، كذلك صنع الله بالنسبة إلى أفعال العباد فهذا أمر بين أمرين، وينقل لنا هذا المعنى الشيخ الصدوق (أعلى الله مقامه) في كتاب عيون أخبار الرِّضا عليه السلام: عن أحمد بن علي الأنصاري عن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال: (دخلت على علي بن موسى الرضا بمَرو فقلت له: يا بن رسول الله رُوي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين فما معناه؟ قال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله عز وجل فوّض أمر الخلق والرزق إلى حُجَجه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك، فقلت له: يا بن رسول الله فما أمرٌ بين أمرين؟ فقال: وجود السبيل إلى اتيان ما أمروا به وترك ما نُهوا عنه، فقلت له: فهل لله عز وجل مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: فأما الطاعات فإرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها، قلت: فهل لله فيها القضاء؟ قال: نعم ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلاّ ولله فيه قضاء، قلت: ما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة) (عيون أخبار الرِّضا عليه السلام: ج١، ص١١٤).

٥- عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ - فَعَلِمَ مَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ - وأَمَرَهُمْ ونَهَاهُمْ فَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ ولا يَكُونُونَ آخِذِينَ ولا تَارِكِينَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ).

الشرح:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ) مستعدّين للخير والشرّ لحكم ومصالح بعضها يظهر لأولي الألباب وبعضها لا يعلمها إلاّ هو، وأسرار القدر الّتي ورد النهيُ عن الغور فيها داخلة في هذا البعض (فَعَلِمَ مَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ) من الخير والشرِّ، ولكن الغرض الأصلي من خلقهم هو الخير كما يدلّ عليه ما رواه الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن الإمام الصادق عليه السلام حين سأله الزّنديق وقال له: (فخَلَق الخَلق للرَّحمة أم للعذاب؟ فقال عليه السلام خَلَقهم للرَّحمة، وكان في علمه قبل خلقه إيّاهم، أنَّ قوماً منهم يصيرون إلى عذابه بأعمالهم الرَّديّة وجحدهم به) (الاحتجاج: ج٢، ص٩٥).

ثم قال عليه السلام (وأَمَرَهُمْ) بالخيرات والمصالح (ونَهَاهُمْ) عن الشرور والقبائح (فَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ) وكذا ما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى فعله، وذلك لإعطائهم القدرة الصالحة للضدَّين والقوَّة القابلة للطرفين، ومعنى القدرة أي لهم القدرة على الفعل والترك إن شاء أن يفعل فعل وإن شاء أن يترك ترك، فلو فرضنا قدرة أنحصر تعلّقها بأحد الطرفين فقط دون الآخر لم يكن الموصوف بها قادراً (ولا يَكُونُونَ آخِذِينَ ولا تَارِكِينَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ) أي بتوفيقه لمن أقبل وعدمه لمن أدبر، أو بعدم إحداثه مانعاً من الأخذ والترك، أو بخلق القدرة عليهما، أو بعلمه بهما، أو بتخليته، ويؤيّد الأخيرين ما رواه الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن عليّ بن محمد العسكري عليه السلام أنَّ أبا الحسن موسى عليه السلام قال: (إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذنه، وما جبر الله أحدا من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى وكما قال: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)) (الاحتجاج: ج٢، ص١٥٨).

وفي ما أوردناه دلالة على أنَّ أفعالهم بقدرتهم واختيارهم وأنَّ علمه الأزلي بها لا يستدعي أن لا يكون لهم قدرة واختيار وهو لا يوجب شيئاً عليهم.

مسجد النُخيلة التاريخي مقام الإمام علي عليه السلام

النُخيلة هي تصغير لكلمة نخلة، وهو مكان قرب الكوفة، ويعود تاريخ مسجد النخيلة التاريخي إلى عهد نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد نصّت الروايات التاريخية على أنه قد أسّس مسجدا في النخيلة خارج الكوفة، وهي الموضع الذي خرج إليه الإمام علي عليه السلام لما بَلَغهُ ما فُعل بالأنبار من قتل عامله عليها، وقَد خطب فيها أكثر من خطبة.

ولأن الإمام علي عليه السلام قد زاره واتخذه مقاما له أيام واقعة النهروان وصفين (٣٦هـ-٣٧هـ) ومن بعده ولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، لذا اتخذ المسلمون على قبر نبي الله ذي الكفل عليه السلام مصلى ومكانا للعبادة، وكان من أشهر أئمة المسجد (عباد بن الربيع) راوي حديث الإمام علي عليه السلام، وتاج الدين الآوي.

جدد بناء مسجد النخيلة وضريح النبي ذي الكفل عليه السلام في أيام الاليخانيين في فترة حكم السلطان اولجايتو محمد خدا بنده (٧٠٣-٧١٦ هـ) الذي أمر بتجديد الضريح والمسجد المقدس.

فضل مسجد النخيلة

لقد تشرّفت النخيلة وتشرّف مسجدها المعظّم بإقامة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ودعوتهم إلى التوحيد وعبادة الله تعالى فيها، وكان أول المقيمين فيها نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام كما نصت على ذلك بعض الروايات، منها ما جاء عن الإمام علي عليه السلام بأن نبي الله إبراهيم عليه السلام قد مرّ بها واشتراها في إحدى سفراته.

وبعدما اشتراها أسس فيها مسجد النخيلة كما أشارت إلى ذلك رواية الإمام الجواد عليه السلام في وصف حركة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه،

كما تشرفت النخيلة أيضاً بإقامة نبي الله ذي الكفل عليه السلام لتكون نقطة انطلاق دعوته إلى الله تعالى ومثواه الأخير مع ثلة من أصحابه، وقبر النبي ذي الكفل عليه السلام وأصحابه اليوم يقع داخل مسجد النخيلة التاريخي وأحد المزارات الشريفة الملحقة بالمسجد.

كما تشرفت النخيلة ومسجدها بإقامة العبد الصالح الخضر "عليه السلام" وله اليوم مقام معلوم في داخل المسجد المعظم وأحد المزارات المشهورة الملحقة به.

وفي عام ٣٦ هـ تشرفت النخيلة بقدوم وإقامة سيد الأوصياء أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ونجله الإمام الحسن السبط عليهما السلام وخيرة أصحابه فيها واتخاذ مسجدها مقاما ومصلّى لهم، وقد خطب فيها الإمام علي عليه السلام أكثر من خطبة في الحث على الجهاد والوعظ والإرشاد.

المزارات الملحقة بمسجد النخيلة التاريخي

ضريح نبي الله ذي الكفل عليه السلام

يعتبر ضريح نبي الله ذي الكفل عليه السلام - وله عليه السلام أسماء أخرى منها عويديا بن أدريم وحزقيل ويهوذا بن يعقوب- من الأماكن التي تحتل قدسية كبيرة عند الديانات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، يغطي الضريح المقدس صندوق من خشب الصاج، أما بالنسبة إلى الغرفة التي تضم الضريح المقدس فهي على شكل مستطيل وهي مزينة بالزخارف ومطعمة في مناطقها بالمرايا، كما توجد فيها كتابات عبرية تدور حول الجدران الأربعة للضريح.

مقام الخضر عليه السلام

يقع مقام سيدنا الخضر عليه السلام في الجهة الجنوبية الغربية لحرم الصلاة القديم، وهو عبارة عن غرفة صغيرة يوجد فيها المقام ولهذا المقام كرامات مشهورة.

حرم قبور أصحاب نبي الله ذي الكفل عليه السلام

على يسار الداخل إلى حرم الصلاة من الجهة الشرقية باب يؤدي إلى حرم فيه أربعة قبور تنسب لأصحاب نبي الله ذي الكفل عليه السلام.

مقام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

يضم المسجد محرابا، المشهور أنه المكان الذي صلى فيه الإمام علي عليه السلام أيام إقامته فيه متوجها إلى صفين لمقاتلة معاوية في الشام.

مقام نبي الله إبراهيم عليه السلام

له عليه السلام مقام في هذا المسجد لأنه عليه السلام هو المؤسس لهذا المسجد كما تذكر الروايات، إلا أنه لم يحدد مكانه بدقة.

معالم المسجد

قبة ضريح نبي الله ذي الكفل عليه السلام بنيت فوق الغرفة التي تضم ضريحه عليه السلام قبة وهي متكونة من طبقتين أو قبتين الأولى داخلية نصف كروية صمم في وسطها نجمة زخرفية ذات اثني عشر رأساً مزخرفة بالمرايا مغلفة من الخارج بالقبة الثانية المخروطية والمقرنصة مكونة من عشرة طبقات عدا غطاء القبة وكل طبقة مكونة من مجموعة من العقود المدببة التي تكون مسطحة في بواطنها عدا الصف السادس المكون من حنيات بسيطة تعلوها. يبلغ ارتفاعها من الخارج (١٧م) تنتصب فوق قاعدة مثمنة الشكل ترتفع على السطح المجاور حوالي متر واحد وتقوم فوقها القبة المخروطية المقرنصة ارتفاعها (٨م) ويعود تأريخ بناء القبة إلى عهد السلطان اولجايتو محمد خدابنده (٧٠٣-٧١٦هـ) .

قبة المسجد الأثرية

كان لحرم الصلاة القديم (مقام الإمام علي عليه السلام) قبة مسننة مغلفة بالكاشي الأزرق، ولكن اليهود وحملتهم التخريبية بعد عام ١٨٥٠م غيروا معالم المسجد فرفعوا محرابه ودفنوا منبره بعدما حطموه وأزالوا مأذنة المسجد، وهدموا سقفه وقبته، واليوم قد أعيد بناء معالم حرم الصلاة القديم من المحراب والقبة وغيرها.

مأذنة المسجد

وهي من المعالم الأثرية الشاخصة في مرقد نبي الله ذي الكفل عليه السلام ومدينة الكفل، تقع المأذنة بالقرب من القبر الشريف، والذي أمر بإنشائها السلطان محمد خدابنده، يبلغ محيط بدن المنارة حوالي (١٠) أمتار وارتفاعها بحدود (٢٤) مترا تستند على قاعدة مكعبة الشكل يبلغ ارتفاعها بحدود (٦) أمتار وقد زيّن بدن المنارة بأشكال متعددة من الزخارف الهندسية، وإن أروع هذه الزخارف على بدن المأذنة هي التي تقع في وسطها وتتألف من كتابة كوفية نادرة الوجود في العالم الإسلامي، وتتكون من أربعة كلمات كتبت بشكل مثلثات متداخلة وهي (ودي حب محمد وعلي).

سور المسجد

وهو سور يحيط بالمرقد والمقام يبلغ محيطه حوالي٣٦٥م وعمقه حوالي ٣م وعرضه مابين ١,٢٥ و١,٣٥م وكان ارتفاعه قبل هدمه ٩م ويعود تأريخه إلى أكثر من ٧٠٠ سنة.

بئر المسجد

وهي بئر تقع في جنوب مأذنة المسجد الشاهقة وقد تم اكتشافها عام ٢٠٠٩ وهي متصلة بسور المسجد القديم.

أبراج المسجد

لمسجد النخيلة عدة أبراج تسنده وتزينه تم اكتشافها في أزمنة متعاقبة، وعددها(١٧) برجا وقد تم صيانة أسسها وصيانتها بطريقة علمية.

منبر المسجد

يذكر لنا المؤرخون أن السيد تاج الدين الآوي الأفطسي (المتولي والمشرف على المسجد آنذاك والذي قتل عام ١٧١هـ) قد نصب في صحن المسجد منبراً مصنوعاً من الصخر قد حفر اليهود له حفرةً واردوه فيها وهو موجود لمن نقب وبحث عنه.

أهمية مرحلة الشباب وآدابها

لقد عُني الإسلام عناية خاصة بالشباب، وأولى هذه المرحلة أهمية بالغة باعتبارها المرحلة الأساسية في بناء شخصية الإنسان، وحمّل الإنسان مسؤولية كبيرة عن تلك المرحلة الهامة من حياته، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت) (الأمالي: ص٩٣)، إنّ أمراً يُقرَن بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله لخير دلالة على أهميته، وإشارة إلى ثقل المسؤولية عنه؛ ولهذا أكدت التعاليم الإسلامية على وجوب استثمار الإنسان لفترة شبابه، وعبرت عنه بالاغتنام؛ فذلك الاستثمار هو: (غنيمة) كبيرة وعظيمة، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) (وسائل الشيعة: ج١، ص١١٤).

ومن هنا أكدت الرسالة الإسلامية على وجوب تربية الشباب والاعتناء بهم وبنائهم بناءً فكرياً وروحياً وخلقياً؛ لأنّهم مؤهلون لتقبل التعليم أكثر من غيرهم فهم أرق أفئدة، وأزكى نفساً، وأعلى همة.

ولهذا اهتم التشريع الإسلامي بشريحة الشباب لما تمثله من وسط إنساني واسع يتوقف على تطوّره وقدراته وصلاحه تطوّرُ الأمم وصلاحُها، لأنهم القوة الفاعلة والطاقة الكبيرة التي تمدّ الأمة بالحركة والنشاط والأمل الكبير في تطلّعاتها وطموحها نحو المستقبل.

ولأن هذه المرحلة في حياة الإنسان تعتبر أهم المراحل فهي تحدد المستقبل الفكري والعملي أو تساهم مساهمة كبيرة في تحديده لما تملكه هذه المرحلة من طاقات وطموحات متفجرة، ولهذه المرحلة آداب مهمة وهي:

١- الالتزام بتحديد الرمز والقدوة: إن مما يميز مرحلة الشباب هو ميل هذه الشريحة إلى تقليد الشخصيات المميزة والمشهورة في المجتمع سعيا منهم لتحصيل الظهور والسمعة في أوساط مجتمعهم ومحاولتهم التشبه به في حركاته وسكناته وفي ملابسه ومظهره، وهذه من المميزات المهمة وهي سلاح ذو حدين، إذ إنّ ترك الشاب من غير توجيه من هذه الناحية وعدم تعيين من يكون مؤهلا لكي يكون قدوة له في حياته يرتسم خطاه ويسير على منهجه وهديه ويطمح لأن يكون مثله، يُنذر بخطر تقليد من ليس أهلا للتقليد وذلك باختلال موازين الاختيار لديه التي على أساسها يختار القدوة الصالحة، والتي من أهمها أن تكون القدوة تتحلى بصفات يحبها الله عز وجل، وتتمتع بالأخلاق الحميدة والفكر السديد والإيمان الكامل المثمر، وهل نجد خيرا من رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام وابنة نبيه فاطمة عليها السلام وأبناء علي وفاطمة عليهما السلام الحسن والحسين عليهما السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام ليكونوا قدوة لنا ولأبنائنا.

فيجب علينا أن نحبب أهل البيت عليهم السلام لأبنائنا بذكر أخلاقهم وصفاتهم وأعمالهم.

٢- طلب العلم: قد ورد الحث على التفقه متواصلاً وبصيغة الوجوب مرة، وبالتهديد أخرى، وبالترغيب ثالثة، فإن العلم في مرحلة الشباب أكثر نفعا وأكثر ضرورة وإلزاما لما في الشاب من النقاء والصفاء والقابلية لتلقي وأخذ المعلومات والاستفادة منها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين..) (منية المريد: ص٧٢)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (إن قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها شي إلا قبلته) (بحار الأنوار: ج٧٤، ص٢٠٠)، وعنه عليه السلام: (العلم في الصغر كالنقش في الحجر) (بحار الأنوار: ج١، ص٢٢٤)، وعنه عليه السلام: (أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال) (الكافي: ج١، ص٣٠).

وأوصى الإمام الصادق عليه السلام أحد أصحابه: (عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير) (بحار الأنوار: ج٢٣، ص٢٣٦)، وعنه عليه السلام: (لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غاديا في حالين: عالماً أو متعلماً، فإن لم يفعل فرّط، فإن فرّط ضيع، فإن ضيّع أثم، وإن أثم سكن النار، والذي بعث محمداً بالحق) (بحار الأنوار: ج١، ص١٧٠)

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته...) وفي رواية أخرى (لا يتفقه في الدين لأوجعته) (بحار الأنوار: ج١، ص٢١٤).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: (لو وجدت شاباً من شبّان الشيعة لا يتفقه لضربته ضربة بالسيف) (بحار الأنوار: ج٧٥، ص٣٤٦).

٣- التعقل في كل أموره: لأن مرحلة الشباب مرحلة هَيَجان الرغبات والميول والعواطف والشهوات فإن التعقل في توجيه تلك الأمور توجيها صحيحا أمرٌ مطلوب جدا في تلك المرحلة، قال الإمام الصادق عليه السلام: (مَن مَلَك نفسَه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضي حَرَّم الله جسده على النار) (وسائل الشيعة: ج١٥، ص١٦٢).

والعبادة هي أفضل وسيلة يمكنها أن تروض العواطف والميول والشهوات وأفضل ألوان العبادة هو جهاد النفس، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ❖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (سورة النازعات: آية٤٠-٤١).

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (إن الله تعالى يباهي بالشاب العابد الملائكة ويقول: انظروا إلى عبدي ترك شهوته من اجلي) (كنز العمال: ج١٥، ص٧٧٦)، وعنه صلى الله عليه وآله: (فضل العابد الذي تعبَّد الله في صباه على الشيخ الذي تعبَّد بعدما كَبر سنه، كفضل المرسلين على سائر الناس) (كنز العمال: ج١٥، ص٧٧٦)، وعنه صلى الله عليه وآله: (ما من شاب يدع لله الدنيا ولهوها وأهرم شبابه في طاعة الله إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقاً) (بحار الأنوار: ج٧٤، ص٨٤).

٤- أغتنم فرصة الشباب: ليعلم الشاب أنه لابد أن يَهرَم يوماً ما وتضعف قوته وتقل حيويته، فليعتبر بالآباء والأمهات والأجداد وليصمم أن يجعل قوته ونشاطه في طاعة الله عز وجل لأن الله يحب الشاب المؤمن المطيع له، وإذا عصى الله تعالى بادر بالتوبة قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: (ما من شي أحب إلى الله تعالى من شاب تائب) (كنز العمال: ج٤، ص٢١٧).

٥- اختر الأصدقاء الصالحين: اختيار الصديق الصالح الذي يسير في طريق الهداية والطريق المستقيم، له كل الأثر في سلوك القرين له، وعلى العكس تماما لو صاحب أهل السوء والفسوق، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إياك ومصاحبة أهل الفسوق فإن الراضي بفعل قوم كالداخل معهم) (غرر الحكم: ص٤٣٣).

٦- الاهتمام بالزواج المبكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما من شاب تزوج في حداثة سنه إلا عج شيطانه: يا ويله، يا ويله عصم مني ثلث دينه، فليتق الله العبد في الثلث الباقي) (بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٢٢١)، وعنه صلى الله عليه وآله: (لَرُكعتان يصليهما متزوج أفضل من صلاة رجل عازب يقوم ليله ويصوم نهاره) (الفقيه: ج٣، ص٣٨٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (من ترك التزويج مخافَةَ الفقر فقد أساء الظن بالله إن الله عز وجل يقول: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾) (مكارم الأخلاق: ص١٩٧).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت).

آداب إسلامية

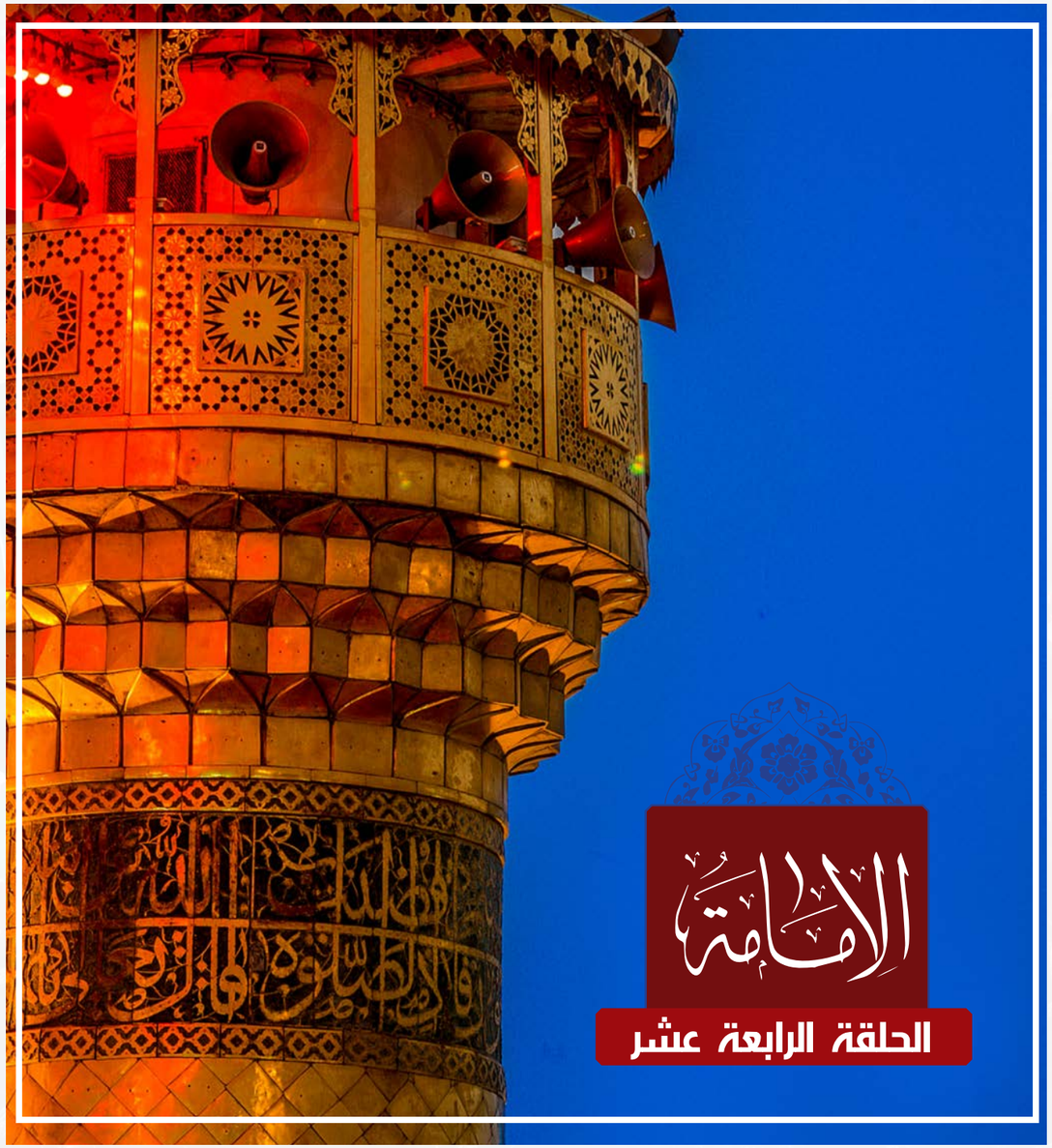

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

تقدم فيما سبق من الحلقات جملة من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله التي تدل بصورة واضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، ونورد في هذه الحلقة حديثا عن النبي صلى الله عليه وآله فيه دلالة واضحة لا ينكرها إلا مكابر أعمى الله بصره وبصيرته.

حديث: (من آذى عليّا فقد آذاني) ذكر العلامة الحلي قدس سره في كتابه نهج الحق/ ص٢٢٢ الحديث حيث قال: في (مسند أحمد)من عدّة طرق، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: (من آذى عليّا فقد آذاني، أيّها الناس ! من آذى عليّا بُعث يوم القيامة يهوديّا أو نصرانيّا). وجه الاستدلال: استدل علماء المسلمين بهذا الحديث على إمامة الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام ، منهم الشيخ محمد حسن المظفر في دلائل الصدق، ج٦، حيث قال: وهو «أي الحديث» يقتضي وجوب طاعة عليّ عليه السلام ؛ لأنّ عصيانه يؤذيه بالضرورة، ووجوب طاعته على الإطلاق يقتضي عصمته وإمامته، وإذا ضممت إلى الحديث قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)، الأحزاب: ٥٧، علمت حال الناكثين والقاسطين وغيرهم.

لماذا العصمة؟

ذهبت الإمامية إلى أنّ الأئمّة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت، عمدا وسهوا، لأنّهم حفظة الشرع والقوّامون به، حالهم في ذلك كحال النبيّ صلى الله عليه وآله ، ولأنّ الحاجة إلى الإمام إنّما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم، ورفع الفساد، وحسم مادّة الفتن، وأنّ الإمام لطف يمنع القاهر من التعدّي، ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرّمات، ويقيم الحدود والفرائض، ويؤاخذ الفسّاق، ويعزّر من يستحقّ التعزير، فلو جازت عليه المعصية وصدرت منه، انتفت هذه الفوائد وافتقر إلى إمام آخر، وتسلسل.

علاقة العصمة بالإمامة:

١ـ بيان التسلسل: إنّ الحاجة إلى الإمام في تلك الفوائد توجب عصمته، وإلّا لافتقر إلى إمام آخر وتسلسل؛ لأنّ غير المعصوم إمّا فاسق أو عادل، وبالضرورة أنّ الفاسق لا تحصل منه تلك الفوائد ولو بالنسبة إلى نفسه فيحتاج إلى غيره، والعادل كذلك؛ لأنّ الصغائر قد تحصل منه لأنّها لا تنافي العدالة، والكبائر ربّما تقع منه أيضا، ولو لا أنّه قد يفسق فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عن الصغائر والكبائر لو وقعت، أو يحترز به عن وقوعها. كما إنّ الخطأ غير مأمون عليه، فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عمّا يخطأ به وإن كان معذورا، فإنّ معذوريّته لا تصحّح تفويت تلك الفوائد، وإلّا لما كانت موجبة للحاجة إلى الإمام. فتبتلي الأمّة بإمام فاسق لا يحصل منه محلّ الحاجة إلى الإمام، وهو ناشئ من عدم اعتبار العصمة والاكتفاء بالعدالة، ولا سيّما مع كون العدالة الواقعية عسرة الإحراز، وإنّما تثبت ظاهرا، إذ ربّما كان العادل في الظاهر فاسقا في الواقع، فتبتلي الأمّة من أوّل الأمر بإمام فاسق، فلا يحصل محلّ الحاجة إلى الإمام ولو بالنسبة إلى نفسه، فيجب نصب إمام آخر على جميع الوجوه، لئلّا تفوت الفوائد المطلوبة ويتسلسل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

﴿ من آذى عليّا فقد آذاني، أيّها الناس من آذى عليّا بُعث يوم القيامة يهوديّا أو نصرانيّا ﴾

٢ـ العصمة والإطاعة: قوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) النساء: ٥٩، المراد بالآية بيان عصمة الرسول وأولي الأمر، وأنّهم لا يأمرون ولا ينهون إلا بحقّ، فإنّه تعالى أوجب طاعة أولي الأمر على الإطلاق كطاعته وطاعة الرسول، وهو لا يتمّ إلا بعصمة أولي الأمر ـ الذين نصبهم وعينهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ـ، فإنّ غير المعصوم قد يأمر بمعصية وتحرم طاعته فيها، فلو وجبت أيضا اجتمع الضدّان، وجوب طاعته وحرمتها .

٣ـ الأمر بالمعروف والعصمة: إنّ الإمام لو عصى لوجب الإنكار عليه والإيذاء له من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مفوّت للغرض من نصبه، ومضادّ لوجوب طاعته وتعظيمه على الإطلاق المستفاد من قوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ). كما إنّه لو صدرت المعصية منه لسقط محلّه من القلوب، فلا تنقاد لطاعته، فتنتفي فائدة النصب .

وأيضا لو عصى لكان أدون حالا من أقلّ آحاد الأمّة؛ لأنّ أصغر الصغائر من أعلى الأمّة وأولاها بمعرفة مناقب الطاعات ومثالب المعاصي، أقبح وأعظم من أكبر الكبائر من أدنى الأمّة .

طريق النجاة: تقدم في العدد السابق أن حب الإمام علي عليه السلام موجب لدخول الجنة وبغضه وإيذائه سبب لدخول النار، وقد ثبت وجوب الاقتداء به والإتباع له بعد النبي صلى الله عليه وآله والمنع من تقدم غيره عليه، فإن هذا يوجب إيذائه وإيذاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ، بل تقدم غيره قد أخل في تلك المدة بما وجب عليه من الطاعة له. وبعبارة أخرى: قد ثبت أن حبه عليه السلام طريق النجاة وبغضه وإيذاءه سبيل الهلاك، وسلوك حبه والكف عن إيذائه إنما هو بقبول أوامره ونواهيه، فمن قدم عليه غيره بعد الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن ممتثلا لأمره ونهيه عليه السلام ، فيخرج عن طريق محبته ويدخل في سبيل مبغضيه والمؤذين له، ومتى خرج عن محبته ضل عن طريق إسلامه، فوجب تقديمه بعد النبي صلى الله عليه وآله عقلا وسمعا.

وللكلام تتمة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أخرجوا الدنيا عن قلوبكم قبل أن تخرج منها أجسامكم ففيها احتزمتم ولغيرها خُلقتم).

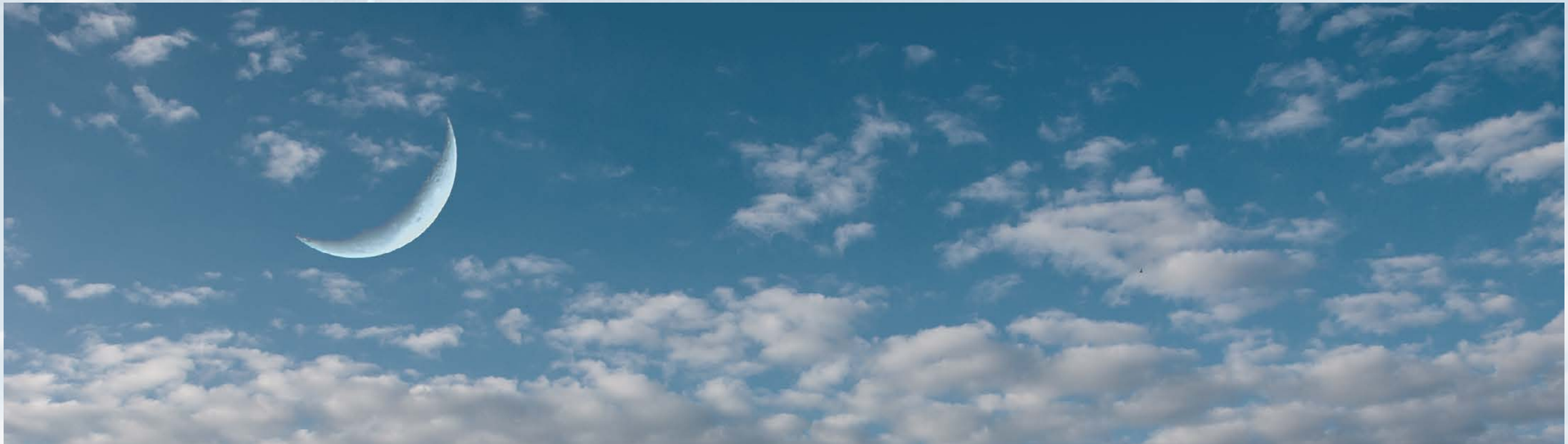

أهم مُناسبات شهر ربيع الثاني

هلاك هشام بن عبد الملك:

في السادس من شهر ربيع الثاني سنة(١٢٥هـ) هلك هشام بن عبد الملك بالرصافة من أرض قنسرين. وكان له من العمر ستة وخمسون سنة، ومدة ولايته تسع عشر سنة وستة أشهر وإحدى عشر ليلة.

قال المسعودي: وكان أحول شديد انقلاب العين.. شكس الأخلاق، دقيق النظر، جامعاً للأموال، قليل البذل للنوال.

وقال: وفي السنة السابعة عشر من ولايته وهي سنة (١٢٢هـ)، كان ظهور زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة في نفر يسير، وعليها يوسف بن عمر الثقفي، وقد كان بايعه خلق كثير، ثم قعدوا عنه ولم يفوا له، فلقيه يوسف بن عمر في جموع عظيمة، فقاتلهم زيد قتالاً شديداً إلى أن قتل ومن معه في صفر من هذه السنة وصلب في الكناسة.

وروي عن عروة بن موسى الجعفي قال: قال لنا أبو عبد الله(عليه السلام) يوماً ونحن نتحدث عنده: اليوم انفقأت عين هشام بن عبد الملك في قبره، قلنا: ومتى مات؟ فقال: اليوم الثالث، فحسبنا موته وسألنا عن ذلك فكان كذلك.

بناء مدينة بغداد:

في السادس من شهر ربيع الثاني سنة(١٤٦هـ) بنى المنصور الدوانيقي مدينة بغداد، وأمر بوضع السادات من سلاسة فاطمة (عليها السلام) في أعمدتها وجدرانها بأن تبنى عليهم وهم أحياء.

فرض صلاة الحضر والسفر:

في الثاني عشر من ربيع الثاني في السنة الأولى من الهجرة، فرضت صلاة الحضر والسفر على المسلمين وبلغهم بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بامر من الله عز وجل.

وفاة معز الدولة الديلمي:

في الثالث عشر من ربيع الثاني (وقيل: في ١٧ ربيع الثاني) سنة (٣٥٦هـ)، توفي السلطان معز الدولة الديلمي، بعد ما مضى من عمره ثلاث وخمسون سنة، وكان شديد التصلب في التشيع، حتى إنه أمر أن يكتب على أبواب الدور في بغداد: لعن الله معاوية بن أبي سفيان، لعن الله من غصب فاطمة فدكاً، لعن الله من أخرج العباس من الشورى، لعن الله من نفى أبا ذر من المدينة إلى الربذة، لعن الله من منع دفن الحسن(عليه السلام) عند جده.

خلع معاوية بن يزيد نفسه عن الخلافة:

في الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني(وقيل: ٢٥ ربيع الثاني) سنة (٦٤هـ)، وبعد أربعين يوماً من هلاك أبيه يزيد بن معاوية لعنه الله، خلع معاوية بن يزيد نفسه عن الخلافة.

وكان تولى الخلافة يوم موت أبيه يزيد في الرابع عشر من ربيع الأول من هذه السنة، فأقام فيها أربعين يوماً.

وروي أنه لما نزع معاوية بن يزيد بن معاوية نفسه من الخلافة، قام خطيباً فقال: أيها الناس ما أنا بالراغب في التأمر عليكم، ولا بالآمن لكراهتكم، بل بلينا بكم وبليتم بنا، ألا إن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى بالأمر منه في قدمه وسابقته عليّ بن أبي طالب، فركب جدي منه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى صار رهين عمله، وضجيع حضرته، تجاوز الله عنه، ثم صار الأمر إلى أبي، ولقد كان خليقاً أن لا يركب سننه، إذ كان غير خليق بالخلافة، فركب ردعه واستحسن خطأه، فقلّت مدته وانقطع آثاره، وخمدت ناره، ولقد أنسانا الحزن عليه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم أخفت يترحم على أبيه.

ثم قال: وصرت أنا الثالث من القوم الزاهد فيما لدي أكثر من الراغب، وما كنت لأتحمل آثامكم، شأنكم أمركم خذوه، من شئتم ولايته فولوه.

فقام إليه مروان بن الحكم فقال: يا أبا ليلى سنة عمرية، فقال له: يا مروان تخدعني عن ديني. ثم نزل، فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة، فقال: وأنا وددت ذلك، ولم أعلم أن لله ناراً يعذب بها من عصاه وأخذ غير حقه.

وذكر المفيد، قال: وهلك معاوية بن يزيد وهو أبن إحدى وعشرين سنة، وولي الأمر أربعين ليلة.

وهناك مناسبات كثيرة ومهمة قد تم ذكرها في السنتين السابقتين لشهر ربيع الثاني فمن أراد الاطلاع فاليراجع.

مناسبات الشهر

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أشغلوا أنفسكم بالطاعة وألسنتكم بالذكر وقلوبكم بالرضا فيما أحببتم وكرهتم).

بيوت المتقين العدد 28 لشهر ربيع الثاني 1437هـ
١٩

حبيب بن مظاهر الأسدي

قال الإمام الحسين عليه السلام:
(لله درّك يا حبيب، لقد كنت فاضلاً، تختم القرآن في ليلة واحدة)

اسمه وكنيته ونسبه: أبو القاسم، حبيب بن مظاهر بن رئاب الأسدي الكندي.

ولادته: لم تُحدّد لنا المصادر تاريخ ولادته ومكانها، إلّا أنّه من أعلام القرن الأوّل الهجري.

صحبته: كان رضي الله عنه من أصحاب الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام.

جوانب من حياته: كان رضي الله عنه مع الإمام علي عليه السلام في جميع حروبه، وكان من أصفياء أصحابه وحَمَلة علومه، ومن شرطة الخميس.

كان حافظاً للقرآن الكريم، وكان يختمه في كلّ ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر.

كان من جملة الذين كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام لمّا امتنع من بيعة يزيد، وكان مع مسلم بن عقيل لمّا ورد الكوفة.

(قال أهل السير: جعل حبيب ومسلم بن عوسجة يأخذان البيعة للإمام الحسين عليه السلام في الكوفة، حتّى إذا دخلها عبيد الله بن زياد وخذّل أهلها عن مسلم بن عقيل، وتفرّق أنصاره، حبسهما عشائرهما وأخفياهما، فلمّا ورد الإمام الحسين عليه السلام كربلاء خرجا إليه مختفيين يسيران الليل ويكمنان النهار حتّى وصلا إليه) أعيان الشيعة محسن الأمين: ج٤، ص٥٥٤.

عنده علم المنايا والبلايا: كان رضي الله عنه ممّن علّمهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام علم المنايا والبلايا، وهذه الحادثة خير شاهد على ذلك: (عن فضيل بن الزبير، قال: مرّ ميثم التمّار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدّثا حتّى اختلف أعناق فرسيهما. ثمّ قال حبيب: لكأنّي بشيخ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطّيخ عند دار الرزق، قد صُلب في حُبّ أهل بيت نبيّه عليهم السلام، يُبقر بطنه على الخشب. فقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً

أحمر له صفيدتان، يخرج لينصر ابن بنت نبيّه فيُقتل، ويُجال برأسه في الكوفة. ثمّ افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذبُ من هذين.

قال: فلم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رُشيد الهجري فطلبهما، فسأل أهل المجلس عنهما، فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا.

فقال رُشيد: رحم الله ميثماً ونسي: ويُزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثمّ أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم.

فقال القوم: والله ما ذهبت الأيّام والليالي حتّى رأيناه مصلوباً على دار عمرو بن حُريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر قد قُتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كلّ ما قالوا) إختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي: ج١، ص٢٩٢.

خطابه للسيّدة زينب عليها السلام ليلة العاشر من المحرّم: جاء رضي الله عنه ومعه أصحابه ليلة العاشر من المحرّم، ووقفوا عند خيام بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وخاطب السيّدة زينب عليها السلام بقوله:

(السلام عليكم يا معشر حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، هذه صوارم فتيانكم آلَوا أن لا يغمدوها إلّا في رقاب مَن يبتغي السوء فيكم، وهذه أسنّة غلمانكم آلَوا أن لا يركزوها إلّا في صدور مَن يفرق بين ناديكم، فخرج إليهم الحسين عليه السلام وقال: أصحابي جزاكم الله عن أهل بيت نبيّكم خيراً) المجالس الفاخرة السيد شرف الدين: ص٢٣٣.

من مواقفه يوم العاشر من المحرّم:

١. جعله الإمام الحسين عليه السلام قائداً على ميسرة جيشه في معركة الطف، كما جعل زهير بن القين على الميمنة.

٢. مزح رضي الله عنه يوم العاشر، (فقال له بريد بن خضير الهمداني، وكان يقال له سيّد القرّاء: يا أخي! ليس هذه بســـاعة ضحك، قال: فأيّ موضع أحقّ من هذا بالسرور، والله ما هو إلّا أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين) إختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي: ج١، ص٢٩٣.

٣. لمّا ردّ شمر بن ذي الجوشن على إحدى مواعظ الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: (يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول، فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٩٨.

جعل حبيب ومسلم بن عوسجة يأخذان البيعة للإمام الحسين عليه السلام في الكوفة، حتّى إذا دخلها عبيد الله بن زياد وخذّل أهلها عن مسلم بن عقيل، وتفرّق أنصاره، حبسهما عشائرهما وأخفياهما

٤. لمّا صُرع مسلم بن عوسجة الأسدي، مشى إليه الإمام الحسين عليه السلام وحبيب بن مظاهر الأسدي، فدنا منه حبيب فقال: (عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنّة. فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير.

فقال له حبيب: لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك، لاحق بك من ساعتي هذه، لأحببت أن توصيني بكلّ همّك حتّى أحفظك في كلّ ذلك، بما أنت أهل له في القرابة والدين.

قال: بل أنا أُوصيك بهذا رحمك الله ـ وأهوى بيده إلى الحسين عليه السلام ـ أن تموت دونه، قال: أفعل وربّ الكعبة) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص١٠٣.

٥. برز إلى المعركة وهو يقول:

«أنا حبيبٌ وأبي مُظاهِرُ
فارسُ هيجاءٍ وحَربٌ تُسعِرُ
أنتم أعدّ عدّةً وأكثَرُ
ونحنُ أعلى حجّةً وأقهرُ
وأنتمُ عند الوفاء أغدر
ونحنُ أوفى منكمُ وأصبر».

كتاب الفتوح أحمد بن أعثم الكوفي: ج٥، ص١٠٧.

شهادته: استُشهد رضي الله عنه في العاشر من المحرّم عام ٦١ بواقعة الطف، وقبره في رواق حرم الإمام الحسين عليه السلام منفصل عن قبور الشهداء في كربلاء المقدّسة.

تأبينه: حسبُه رضي الله عنه من الإكرام والتجليل ما أبّنه به الإمام الحسين عليه السلام فقد روي أنّه لمّا بلغه عليه السلام قتل حبيب قال: (أحتسب نفسي وحماة أصحابي) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٥، ص٢٧.

وقال عليه السلام: (لله درّك يا حبيب، لقد كنت فاضلاً، تختم القرآن في ليلة واحدة) شجرة طوبى للحراني: ج٢، ص٤٤٢.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اقنعوا بالقليل من دنياكم مع سلامة دينكم فإن المؤمن البلغة اليسيرة من الدنيا تقنعه).

توجيهات في الحث على أدب المعاملة:

إن حب الناس الحقيقي لشخص ما لا يتوقف على مال ولا جاه ولا منصب، وإنما هي الأخلاق وحسن التعامل، وتحديداً ما يسمى "باللباقة وذوق المعاملة".. الأمر الذي يؤكد أن "الدين المعاملة".. تلك المرآة الصادقة لما يخفيه الإنسان داخله من نقاء ورقي.

ولا شك أن أسعد الناس من يجيد فن التعامل مع الآخرين، والحياة، ويجد المفتاح السحري لغزو قلوب البشر، والأمر في كل ذلك لا يتطلب أكثر من معرفة بعض أسرار الأدب في التواصل.

ثم إن التوجيهات التي تحث على الالتزام بالأدب في التعامل مع الآخرين كثيرة، وسنحاول فيما يلي أن نذكر بعضاً منها.

١. النهي عن فضول الكلام والخوض في الباطل:

لقد حثّ القرآن الكريم على الابتعاد عن فضول الكلام وعدم الخوض في الباطل، والالتزام بهذا التوجيه القرآني من شأنه أن يَصُبَّ في بناء مجتمع متماسك يبتعد فيه الناس عن الثرثرة والإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه. قال الله تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) سورة النساء: آية ١١٤، فهذه الآية القرآنية توجّه المؤمنين إلى أن يكون كلامُهم هادفاً، فإنّ من شأن المسلم الواعي ألا يخوض فيما لا يعنيه، وألا يُكثر من الكلام غير الهادف وإن كان مباحاً لأنه لا خير فيه، فإنّ الوقت أثمن من إضاعته في فضول الكلام وهَذَره.

وكثرة الكلام تؤدي إلى قسوة القلب، فقد وَرَدَ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، إنّ أبعد الناس من الله القلب القاسي) الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣. ولا شك أنّ قسوة القلب مع الله تؤدي إلى قسوته مع الناس، مما يُلقي بظلاله السيئة على الاتصال بالآخرين، وعلى العلاقات الإنسانية بشكل عام.

٢. النهي عن السب والفحش في القول: للسب والفحش في القول أضرار كثيرة، ففيها إيذاءٌ للمسبوب، وإيغارٌ للصدور، وقطعٌ للعلاقات والمودّات، وزرعٌ لبذور الفتنة والشقاق، وذلك لما تجليه من العداوة والبغضاء، وتجرُّه إلى المنازعات والمشاحنات التي قد تنتهي بأوخم العواقب وأسوأ النتائج، فتتفكك عُرى المحبة، وتتقطع روابط الألفة، ويحل الفساد محل الصلاح، والخصام محل الوئام، فتسوء الأحوال وتضطرب الأعمال.

ونتيجة لهذه الآثار السيئة التي يتركها السباب وفحش القول على العلاقات الإنسانية، جاء التوجيه القرآني ليحث على تجنب النطق بالألفاظ البذيئة، والكلمات المبتذلة، قال تعالى: (لا يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً) سورة النساء: آية ١٤٨، وفي آية أخرى نصَّ القرآن الكريم على أن إيذاء المؤمنين بالقول السيئ دون وجه حق، يترتب عليه إثم عظيم، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) سورة الأحزاب: آية٥٨.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) جامع السعادات للنراقي: ج٢، ص٢٦٣.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك، واعرضه على العقل والمعرفة، فإنْ كان لله وفي الله فتكلم، وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه، وليس على الجوارح عبادة أخف مؤنة وأفضل منزلة وأعظم قدرا عند الله من كلام فيه رضى الله عز وجل ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده، ألا إن الله لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام...) جامع السعادات: ج٢، ص٢٦٤.

وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال: (حق اللسان إكرامه عن الخنا – الفحش في القول -، وتعويده الخير، وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس، وحسن القول فيهم) بحار الأنوار للمجلسي: ج٦٨، ص٢٦٨. وللكلام تتمة إن شاء الله تعالى.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اتقوا دعوة المظلوم فإنه يسأل الله حقه والله سبحانه أكرم من أن يسئل حقا إلا أجاب).

الأسرة الخلية الأولى للمجتمع: ج٤

مسؤولية الأم:

إن الأسرة السعيدة هي الأسرة المتماسكة فيما بينها، تجتمع على الطاعة، ويسودها الحب والوئام، ولا يمكن لأسرة أن تشعر بالسعادة مع وجود التفرق بين أفرادها، ووجود البغض والكراهية فيما بينها، ولذا كان لا بُدّ للأسرة من ربّان يقود دفة البيت إلى الأمان، ويجنبه المخاطر والهلاك، وهو الأب، وتعينه على تلك القيادة زوجته، ومن هنا جعلهما الشرع المطهر مسئولين عن أفراد أسرتهما .

إن الأم هي المدرسة الأولى في بناء شخصية الطفل، وإكسابه العادات فإذا كانت مهذبة كريمة تم إنشاء جيل صالح، متّسم بالاتزان في سلوكه، وإذا لم تكن مهذبة فإن الجيل حتماً يصاب بالتحلّل، ويمنى بكثير من المفاسد.

إن الأم تتحمل مسؤولية اجتماعية كبيرة، فهي مسؤولة عن مستقبل الأمة وصلاحها وانطلاقها، ويُعدُّ مهدها وحضانتها اللبنة الأولى في بناء الكيان التربوي الصالح أو الطالح.

واجباتها :

على الأم التي تريد أن ترى في أبنائها قرة عين وذخيرة لها في مستقبلها أن تسهر على تربيتهم، وترعى سلوكهم، وتبث في نفوسهم النزعات الطيبة والمثل الكريمة، ونعرض فيما يلي لبعض المناهج التي ينبغي لها أن تطبّقها على واقع تربيتها:

١. تحبذ لهم كل سلوك طيب، وتُلمسُهم النتائج الشريفة التي تترتّب على فعله، وتشجيعهم عليه بجميع إمكانياتها.

٢. أن تجنّبهم عن كل طريق إجرامي أو عادة سيئة، وتخوفهم من سلوك أي جهة لا تتفق مع العادات الدينية، والاجتماعية، وتدلل لهم على ما يترتب عليها من الضرر لهم، وللأسرة والمجتمع.

٣. عليها أن تربي بناتها على الطهارة والعفة، وترشدهن إلى محاسن النساء الخالدات،كفاطمة الزهراء وخديجة الكبرى والحوراء زينب (عليها السلام)، وتحذرهن من خلع الحجاب، وارتداء بعض الأزياء التي ترتديها الفتاة الغربية التي لا تشعر بالعفة والكرامة... وعليها أن ترعى باهتمام أمر بنتها، فتراقبها، وتتفحّص شؤونها، حتى لا تتلوث بالأخلاق الفاسدة التي دهمت بلاد المسلمين، وغزت حياتهم الفكرية والعقائدية.

٤. أن لا تُسرف في دلال أطفالها فإن لذلك من المضاعفات السيئة التي توجب تأخر التربية، وعدم قابلية الطفل في مستقبل حياته لتحمل مشاق الأمور ومصاعبها، فهناك بعض الآباء والأمهات الجهلاء ليس لهم أدنى اهتمام بخير الطفل وصلاحه، هؤلاء الوالهون المفرطون في الحب والحنان، الذين أعمى الحب عيونهم، وأصمّ آذانهم... هدفهم الوحيد هو إرضاء الطفل وتنفيذ رغباته، فيعطون المجال له بدون حساب، ويجعلون أنفسهم طائعين فعلاً وممتثلين لأوامر الطفل الصغير، منقادين له تماماً، وكل يوم يزداد من عمر الطفل يزداد إعجابه بنفسه، وتتحكم في نفسه جذور الاستبداد والتعنّت بالرأي، ويعود عالة على المجتمع، هؤلاء الآباء والأمهات، وإن تظاهروا بمظهر الحب والحنان فإنهم في الواقع يحملون معاول لهدم أساس سعادة أطفالهم، ويقودونهم بعواطفهم المفرطة ومحبّتهم غير المرضية إلى طريق التعاسة، والمستقبل المؤلم.

ولعل كثير من الآباء والأمهات لا يدركون خطر الإفراط في المحبة بالنسبة إلى الطفل إدراكاً تاماً، ولا يفهمون أنهم كيف يرتكبون ظلماً كبيراً بأعمال ظاهرها الرأفة والحنان، إنهم يدفعون الطفل إلى الإعجاب بنفسه فينشأ تعيساً في جميع أدوار حياته ومستقبله من جهة، ومن جهة أخرى يجعلون أنفسهم في عداد (شرّ الآباء) على حد تعبير الإمام الباقر (عليه السلام)، حيث قال: (شرّ الآباء من دَعاه البرّ إلى الإفراط، وشرّ الأبناء من دَعاه التقصيرُ إلى العُقوق) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٣٢٠.

٥. أن تُشعر أبناءها بمقام أبيهم، ولزوم تعظيمه، واحترامه حتى يتسنى له القيام بتأديب من شذّ منهم، وإرغامه على السلوك الحسن، فعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ: (إِنَّ أَبِي نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ وَمَعَه ابْنُه يَمْشِي وَالِابْن مُتَّكِئٌ عَلَى ذِرَاعِ الْأَبِ، قَالَ: فَمَا كَلَّمَه أَبِي (عليه السلام) مَقْتاً لَه حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٣٤٩.

٦- أن تُبعد أطفالها عن الشوارع فإنها لا تخلو من المغريات، ودوافع السلوك المضاد للأخلاق الحميدة، فقد أصبحت تعجّ بالمنحرفين والمصابين بأخلاقهم الذين هم مصدر لتلويث الأطفال، وجرهم إلى حمأة الرذائل والموبقات. وللكلام تتمة إن شاء الله تعالى.

المباهلة:

قال الله تعالى: (فمَنْ حاجَّكَ فيه مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فقُلْ تعالَوْا نَدْعُ أبْناءَنا وأبْناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُمْ وأنْفُسَنا وأنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الكاذِبِينَ) سورة آل عمران: آية ٦١.

دعوة النبيّ(صلى الله عليه وآله) لأساقفة نجران:

كتب رسول الله(صلى الله عليه وآله) كتاباً إلى أساقفة نجران يدعوهم إلى الإسلام، جاء فيه: (أمّا بعد، فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، أدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتُم فقد أذنتم بحرب، والسلام) بحار الأنوار للمجلسي: ج٢١، ص٢٨٥.

فلمّا قرأ الأسقف الكتاب ذُعر ذُعراً شديداً، فبعث إلى رجل من أهل نجران يُقال له: شرحبيل بن وداعة - كان ذا لب ورأي بنجران - فدفع إليه كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقرأه، فقال له الأسقف: ما رأيك؟

فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرّية إسماعيل من النبوّة، فما يُؤمنُك أن يكون هذا الرجل، وليس لي في النبوّة رأي، لو كان أمر من أمور الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك.

فبعث الأسقف إلى واحد بعد واحد من أهل نجران فكلّمهم، فأجابوا مثلما أجاب شرحبيل، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل وعبد الله ابنه وحبّار بن قنص، فيأتوهم بخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فانطلق الوفد حتّى أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فسألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتّى قالوا: ما تقول في عيسى بن مريم؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّه عَبدُ الله»، وقال تعالى: (إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) سورة آل عمران: آية٥٩، فأنكروا عليه ذلك وأبوا أن يجيبوه لما طلب منهم عتوا وعنادا، فنزلت آية المباهلة الكريمة حاملة إجابة وافية قاطعة لأعذار مُؤلّهي المسيح ومُتبنّيه، وهي بنفس الوقت دعوة صارخة لمباهلة الكاذبين المصرّين على كذبهم فيما يخصّ عيسى(عليه السلام)، فدعاهم (صلى الله عليه وآله) إلى اجتماع حاشد، يجمع أعزّ المقربين من الجانبين؛ ليبتهل الجميع إلى الله تعالى في دعاء قاطع أن ينزل لعنته على الكاذبين. بحار الأنوار للمجلسي: ج٢١، ص٢٨٥ بتصرف.

مقام أهل البيت في آية المباهلة:

قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) سورة آل عمران: آية٦١.

حيث أوجب عز وجل أن يجتمع هؤلاء ولذا قال لهم النبي(صلى الله عليه وآله): (إذا دعوت فأمّنوا) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣، ص١٤٣.

الترتيب الذي خرجت به العترة الطاهرة (عليهم السلام) كما تذكر الروايات: لاحظوا تعبير النص بدقة النبي صلى الله عليه وآله في الأمام محتضنا الحسين، آخذا بيد الحسن، وخلفه فاطمة الزهراء، وخلفها علي بن أبي طالب عليه السلام. الحق المبين في معرفة المعصومين (عليهم السلام): ص٢٩٢.

وكما ينقل الفخر الرازي في تفسيره (... وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط من شعر أسود ، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي رضي الله عنه خلفها، وهو يقول، إذا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران : يا معشر النصارى، إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا...). تفسير الرازي للفخر الرازي:ج٨،ص٨٥.

وهذا الترتيب الذي ورد التصريح به - في روايات الفريقين- لا بد أن يكون له دلالات وأسرار وإن خفيت علينا فإن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) هم خيرة الخلق وأشرف الموجودات وهم الوجود الذي يحكي حكمة الله تعالى في تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم، فمن هذا يمكن لنا أن نستكشف مبدأ عاما يتعلق بتصرفات هذا البيت الطاهر ينطوي على معاني عظيمة ليس من السهل أن نستوعبها تماما ولكنها لا بد أن تصب في معنى أنهم لا ينطقون عن الهوى بل يحكون حكمة الخالق في خلقه.

قول الزمخشري في آية المباهلة: بعد أن نقل قضية المباهلة ذكر سبب تقديم الأبناء والنساء في آية المباهلة: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...) فقال: (وقدَّمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله). الكشاف للزمخشري ج١، ص٣٧٠.

أثر الرضاعة بطهارة

قيل لوالدة الشيخ الأنصاري رحمه الله: إن ولدك بلغ درجة عالية من العلم والتقوى، ونال رتبة الزعامة الدينية العليا للشيعة في العالم.

فقالت: لا عجب فقد كنت أتمنى له درجة أعلى من ذلك، لأنني ما رضعته مرة إلا وأنا على وضوء، حتى في تلك الليالي والأيام الشديدة البرد فأقوم لأسبغ الوضوء ثم أرضعه وأنا على الطهارة.. فلماذا لا يصبح اليوم (الشيخ الأنصاري)؟!..

ولقد بكى المرجع الكبير آية الله العظمى الشيخ الأنصاري كثيراً عند وفاة أمه الصالحة حتى جاءه بعض أصحابه يحاولون منعه من البكاء الشديد، بل ربما لامَهُ بعض منهم، فقال له الشيخ: (إن بكائي وأسفي ليس لأني فقدت أمي، إنما لافتقادي نعمة عظيمة مثل هذه المخدرة الصالحة، إذ بوجودها المبارك كان الله يدفع البلاء عنا).

وهكذا لا يأخذك العجب أيها القارئ كما أخذ بعضاً من مقربي هذا المرجع الكبير الذي امتدت زعامته الدينية أقصى بلاد المسلمين، فأينما كانت الشيعة، كانت زعامته ومرجعيته لهم سائدة.. فقد كان يأتي كل أسبوع إلى قبر أمه المؤمنة (رحمة الله عليها)، فيجهش بالبكاء، فيقول له مرافقوه: أيها المرجع!.. لا يجدر بك هذا البكاء على أمك، وأنت صاحب مقام كبير عند الناس؟..

فيقول لهم: إن كان لي مقام كبير كما تقولون، فإنني حصلت عليه بفضل تربية أمي، هذه المؤمنة بالله، الصابرة التي سهرت الليالي من أجلي ومستقبلي. من كتاب قصص العلماء.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اتقوا الله تقاة من سمع فخشع واقترف فاعترف وعلم فوجل وحاذر فبادر وعمل فأحسن).

فرحة لم تكتمل أحداث

بالأمس عدت إلى بيتي متعباً منهكاً فقالت لي زوجتي هلَّا بدلت ثيابك وارتحت قليلا ريثما ينضج الطعام... وبالفعل ذهبت إلى غرفتي وبدلت ثيابي وتمددت على سريري فإذا بي أغط في نوم عميق! ولم أفتح عينيَّ إلا على صوت المؤذن يؤذن للصلاة، فخرجت من الغرفة متوجها إلى المطبخ فوجدت زوجتي منهمكة في إعداد المائدة.

جلست إلى المائدة وسألتها ماذا طبختي لنا اليوم يا حبيبة القلب؟ إلا أنها لم ترد! فعاودت السؤال مرة ثانيةٍ وثالثة فتفاجأت بالرد ذاته، فكانت دهشتي أسبق من غضبي! إذ أنها المرة الأولى وعلى مدى عشرين عاماً من حياتي الزوجية أخاطب فيها أم أحمد ولا تعيرني أي اهتمام، التفت فإذا بابني أحمد يدخل المطبخ، فطلبت منه إحضار زجاجة ماء من الثلاجة، فكان تصرفه مماثلا لتصرف أمه، فازداد تعجبي من أحمد ذلك الشاب الطيب الذي يُضرب به المثل في الأدب وحسن الخلق! فهممت بالخروج من المطبخ فإذا بزوجتي تقول لأحمد: اذهب وأيقظ أباك لتناول الغداء!! هنا بلغ مني الذهول مبلغا! وبالفعل اتجه أحمدٍ إلى غرفتي ليوقظني ... فصرخت فيه بعلو صوتي أنا هنا، فلم يلتفت إليّ ومضى مسرعاً وتركني غارقاً في ذهولي، وبعد دقيقة أو يزيد عاد أحمد وقد ارتسم الرعب على وجهه فقالت له أمه هل أيقظت أباك؟ فتلعثم قليلا ثم قال: حاولت إيقاظه مرارا وتكرارا لكنه لم يجب! فازدادت دهشتي، ماذا يقول هذا الولد! فدخلت زوجتي مسرعةً إلى الغرفة وخلفها الأولاد مذعورين فتبعتهم لأجدها تحاول إيقاظ شخص آخر في سريري يشبهني تماما، ويلبس نفس ثيابي، وينام بنفس طريقة نومي... وما إن يئست من إيقاظه حتى بدأت عيناها تغرورق بالدموع وبدأ أولادي في البكاء والنحيب ومناداة ذلك الرجل الملقى على فراشي والتعلق بثيابه أملا في الرد، وأنا لا أصدق ما يجري حولي! يا إلهي ما الذي يحدث؟! من هذا الرجل الذي هو نسخة مني؟! لماذا لا يسمعني أحد؟! لماذا لا يراني أحد؟!

خرج أحمد مسرعا ليعود بعد قليل ومعه أبي وأمي وإخوتي وانهمر الجميع في البكاء وأمي تعانق ذلك الرجل النائم مكاني وتبكي بكاءا حارا، فذهبت إليها محاولا لمسها والحديث معها وإفهامها أني مازلت بجوارها إلا أنه حيل بيني وبين ما أشتهي، فالتفتُ إلى أبي أحاول احتضانه، إلى زوجتي إلى إخوتي محاولا إسماع صوتي ولكن دون جدوى!

ذهب إخوتي للإعداد للجنازة وخرَّ أبي على الكرسي يبكي وأنا في ذهول تام وإحباط شديد من هول ذلك الكابوس المزعج الذي أحاول الاستيقاظ منه، جاء المغسل وبدأ في تغسيل ذاك الجسد الملقى على فراشي بمساعدة أبنائي ولفه بالكفن ووضعه في التابوت، وتوافد الأصدقاء والأحباب إلى البيت والكل يعانق أبي المنهار ويعَزُّون إخوتي وأبنائي ويدعون لي بالرحمة ولهم بالصبر والسلوان.

ثم حملوا التابوت إلى المسجد ليصلُّوا عليه، وخلا المنزل إلا من النساء، فخرجت مسرعاً خلف الجنازة المتجهة إلى المسجد حيث اجتمع الجيران والأصدقاء واصطفوا خلف الإمام ليصلوا عليَّ، ووسط هذا الزحام الشديد وجدتني أخترق الصفوف بيسر وسهولة دون أن ألمس أحدا.

كبَّر الإمام التكبيرة الأولى وأنا أصرخ فيهم يا أهلي يا جيراني على من تصلون؟!

أنا معكم ولكن لا تشعرون! أناديكم ولكن لا تسمعون! بين أيديكم ولكن لا تبصرون!

فلما استيئست منهم تركتهم يُصلّون وتوجهت إلى ذلك الصندوق وكشفت الغطاء أنظر إلى ذلك النائم فيه... وما إن كشفت عن وجهه حتى فتح عينيه ونظر إليَّ وقال: الآن انتهى دوري ... أنا إلى الفناء أما أنت فإلى البقاء! ثم قال لازمتك ما يزيد عن أربعين عاما واليوم مآلي إلى التراب ومآلك إلى الحساب! ولم أشعر بنفسي إلا وأنا ملقى في التابوت فاقدا السيطرة على كل شئ، أطرافي لم تعد تستجيب لي، لم أعد أرى شيئاً، لم أعد أقوى على الحراك، أحاول الكلام فلا أستطيع، فقط أسمع تكبيرات الإمام، ثم همهمات المشيعين، ثم صوت التراب ينهال عليَّ، ثم قرع النعال مبتعدة، أدركت حينها أنها النهاية ... ولربما البداية... بداية النهاية، هكذا بكل بساطة ودون مقدمات؟! مازال لدي الكثير من المواعيد... مازال لدي الكثير من الأشغال... مازال لدي الكثير من الديون التي لم أسددها ولم أوص بسدادها... أين نقالي؟ أريد أن أوصي بفعل خير لطالما أجلته... أريد أن أنهى عن منكر لطالما رأيته... وشيئا فشيئا بدأت أختنق ثم سمعتُ أصوات أقدام متجهة إليَّ، يا ويلتى سيبدأ الحساب! هذا ما كان يقال لي في الدنيا... لابد أنهما منكر ونكير في طريقهما إليَّ... وبقيت أصرخ في قبر ... رب ارجعون ... رب ارجعون ... رب ارجعون ... لعلي أعمل صالحا فيما تركت! فلا أسمع صدى لدعائي سوى... كلا... كلا... كلا، ولازلت على هذه الحال حتى تدفق إلى مسامعي صوت رقيق يهمس في أذني: بابا، الغداء يا بابا.

ففتحت عينيّ لأجد ابنتي الصغرى وفلذة كبدي "نور" مبتسمة كعادتها في وجهي وهي تقول: " يلا يا بابا قبل الأكل ما يبرد"، احتضنتها بلهفة وقبلت جبينها ثم تركتها تذهب وجلست في فراشي برهة وأنا أشعر بإرهاق شديد وأطرافي ترتعد وجسدي يتصبب عرقا لأخاطب نفسي قائلا: ها يا نفسُ قد عدتي ... فأريني أي صالح ستعملين قبل أن يأتي يوم تسألين فيه الرجعى فلا يستجاب لك.

سارع بالخيرات وبالأعمال الصالحات فما تدري نفس متى تموت وماتدري نفس بأي أرض تموت .

عن الحسن بن علي الوشاء قال:

(سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: إنّ لكل امام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة)

صدر حديثاً

المفكرة العلوية

2016 | ١٤٣٧هـ ١٤٣٨هـ

مفكـرة إسلاميـة ثقافيـة
تصـدر عـن شعبـة التبليـغ فـي قسـم الشـؤون الـدينيـة
أعلام الدفناء ▪ وقائع الأيام ▪ وقفات فقهية